اللقاء الأول بين اللغة العربية والمصطلح الطبي الإغريقي

أ. د. نشأت الحمارنة
جامعة دمشق ــ سوريا



بين يدي البحث:

لا يمكن فهم تاريخ الطبّ أو أيَّ موضوع متعلّق به عند أية أمة من الأمـم، وفي أيّـة مرحلة من تاريخها إلا إذا فهمنا الحياة العلمية والعقلية في ذلك الزمن، وهـذا يـستدعي فهم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فهماً شاملاً بما فيـه العلاقـات الجغرافيـة والبشرية لسكّان البلاد موضع الدراسة، وكذلك الإرث الثقـافي والحـضاري للـشعب الذي ندرس تاريخه. ومن الطبيعي كـذلك أن لا نهمـل تـاريخ هـذه الأمـة، وبخاصـة الإنجازات الطبية التي تحققت في ماضيها وعلى امتداد حياتها، وكذلك الإنجازات التي حققتها دول الجوار حيث تؤثر وتتأثر بها، وتتبادل معها المعرفة وتقيم معهـا العلاقـات المختلفة، ذلك أن الذاكرة الشعبية تحتفظ بالمعلومات المتراكمة عبر الأجيـال منـذ أقـدم العصور، وكذلك فإن التراث الشعبي المكتوب وغير المكتوب يشكل كنزاً معرفياً تزداد أهميته على مدى الزمن. رغم أن هذا كلّه يبدو مفهوماً وبديهياً إلا أننا نشير إليه من باب التذكير وذلك بغية البحث عن الأخطاء الشائعة في كتابة **تـاريخ الطـب عنـد العـرب**، وكذلك في تحرّي سبب وقوع المؤرخين في هذه الأخطاء. ونفترض هنا أن هذه الأخطاء وقعت نتيجة عدم مراعاة البعض لهذه الشروط البديهية التي ألمحنا إليهـا، أو لـنقص في إطلاعهم على بعض جوانب الموضوعات التي ينبغي أن تكون مفهومة من قِبَلِ كلِّ من يتنطع للتأريخ، لكننا لا ننسى أنه ينبغي علينا أن نفترض وجود أسـباب أخـرى دعـت

لكتابة تاريخنا كتابةً غير صحيحة، وبالتالي، غير أمينة وغير نزيهة. ولكـي لا يظـل هـذا الكلام عامّاً. ينبغي أن نشير إشارات سريعة إلى مواطن الضعف في كتابة تاريخ الطـب عند العرب بخاصّة، وتاريخ العلم العربي عموماً أو حتى تاريخ العرب بشكل أشمل:

1. العرب في عُرْف مؤرخي الطب الغـربيين هـم (**العـرب بعـد الإسـلام**)، وكـأن تاريخ العرب يبدأ بالإسلام ولا شيء قبله[1].

2. والعرب هم سكان (**الجزيرة العربية**)، دون الانتبـاه إلى وجـود العـرب قبـل الإسلام في الشمال: في بلاد الرافدين، والشام[2]، وكأن عرب الـشام قبـل الإسـلام ليسوا عرباً.

3. أمّا ما يتعلّق بالطب العربي، أو بالعلم العربي، فهو أمر لا علاقة له بطـبّ سـكان بلاد العرب والشام والعراق ومصر في العصور الأقدم[3]، بـل لـه كـلّ العلاقـة بطـب فارس وطب الإغريق.

4. وسكان شبه الجزيرة العربية هم أهل (الجاهلية)، لا مدنيّة عندهم ولا حـضارة، ولا علاقات بدول الجوار أو بالحضارات التي نشأت حول بلادهم[4].

5. ومن باب أولى: فإنه في جزيرة العرب لا حـضارة قبـل الإسـلام، لا الـيمن ولا حضرموت ولا الحجاز، لا مأرب ولا مكّة.

---

(1) عرف العرب في تاريخهم قبل الإسلام حضارة زاهية لعلّ أحد شواهدها التي مـا تـزال شاخـصة حتـى اليوم سد مأرب.

(2) كانت القبائل العربية تعيش في العراق وفي الشام، ووصلت إلى ديار بكر. ومن المراكز المـستقرّة للعـرب قبل الإسلام تدمر والبتراء والحضر والرُّها والحيرة.

(3) فكأن العرب انتظروا حتى العصر العباسي لكي يراجعوا الأطبـاء، أيـن كـان يتعـالج النـاس في العـصر الأموي في مصر والشام والعراق؟ ألم يذكر لنا التاريخ اسماء أطباء ومؤلفين عاشوا قبل عـصر الترجمـة، عصر احتكاك الأطباء العرب والمترجمين بالتراث الطبي الإغريقي المكتوب؟

(4) كان لعرب الجزيرة صلات مؤكدة بمصر والحبشة وفارس وبيزنطة.

أحد أهم البراهين على المستوى الرفيع الذي وصل إليه الطبّ في مصر القديمة هو شهادة مؤرخي اليونان وعلمائهم: بأنهم كانوا يذهبون إلى مصر للدراسة، وبأن مصر كانت مَعِيناً للأدوية التي لا يعرفها الإغريق. وأنهم تعلّموا من مصر علم الأدوية وفنّ المداواة.

أمّا رقي المهنة في بلاد الرافدين فتشهد عليه قوانين حمورابي المنقولة عن قوانين أقدم، والتي وضعت تشريعات للعلاقة بين الأطباء، وبينهم وبين المرضى. وضبطت أصولاً لممارسة المهنة، ونصت على عقوبات لمن يخطئ في المعالجة أو لمن يدعي المعرفة الطبّيّة ادّعاءً.

وفي هاتين المنطقتين من العالم ظهرت حالة جديدة في الممارسة الطبية هي حالة التخصص: (**طبيب العيون مثالاً**).

هذا يدفعنا إلى كتابة مقدّمة شديدة الاختصار نوجز فيها ما نظنه الحقيقة في مواجهة العقلية التي كَتَبَتْ تاريخَ العرب عموماً، وتاريخَ الطب العربي بخاصّة.

1. قامت في بلاد ما بين النهرين حضارةٌ موغلة في القِدَم وكذلك في مصر، وكانت العلاقات بين هاتين الحضارتين نشطة عبر التاريخ، ولا يمرّ يوم إلا وتُكْتَشَفُ آثارُ هذه العلاقات وَصِلَتُها ببلاد الشام.

2. لم تكن بلاد الشام في هذه الحقبة مجرّد مَمَرٍّ بين بلاد الرافدين ومصر، بل نَشَأَت فيها حضاراتٌ لها مراكز مدينية كثيرة، منها إبلا وماري وأوغاريت.

3. ولم يكن سكّان شبه الجزيرة العربية معزولين عن جوارهم، لم يكونوا قوماً متوحشين، بدليل حياتهم العقلية التي صرنا نعرف الكثير عنها. وما الشعر الجاهلي إلا مثال ناصع للمستوى الفكري واللغوي الذي وصل إليه هؤلاء، ولمدى إحساسهم بالفن والجمال. وما التطوّر الرفيع الذي بَلَغَتْهُ لغتُهم قبل الإسلام بكثير إلا دليل مُفْحِم لمن يُصِرّ على نعتهم بالجاهلية.

ازدهرت مدينة **إبلا** في الألف الثالث قبل الميلاد. (موضع تل مرديخ حالياً بين حلب وحماه)، وقد وصلنا منها رُقُمٌ طينية، تبيّنَ من قراءتها أن إبلا كانت على صلات بمصر وساحل المتوسط من جهة وببلاد ما بين النهرين وفارس والأناضول من جهة أخرى.

وقد كانت اللغة السومرية متداولة في إبلا إلى جانب اللغة الإبلوية. وفي هذه المدينة ظهرت أقدم أشكال المعجمات ثنائية اللغة تفسر ألفاظ إحدى هاتَيْن اللغتين باللغة الأخرى، أو تضع الكلمة مقابل الكلمة التي ترادفها في اللغة الأخرى.

وفي حوض الفرات ازدهرت مدينة **ماري** في القرن التاسع عشر قبل الميلاد. (موضع تل الحريري قرب دير الزور). وفي هذا العصر كتبت رُقم كثيرة باللغة الأكادية وصلت إلى أيامنا. ويعود تاريخ ماري إلى الألف الخامس قبل الميلاد، ووصلت إلى مستوى رفيع من الحضارة في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد، وعلى الرغم من أنها دُمِّرت عام (2340 ق. م). إلا أنها استعادت حياتها من جديد حيث دُمّرت ثانية عام (1758 ق. م).

وقد ازدهرت مدينة **ألالاخ** (قرب أنطاكية على نهر العاصي «تل عطشانة» في مملكة يمحاض / حلب)، ووصلتنا منها رُقُمٌ تعود إلى المرحلة ما بين أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن السابع عشر قبل الميلاد مكتوبة باللغة الأكادية. وكذلك وصلت منها رُقم أخرى يعود تاريخها إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد.

وفي **أوغاريت** (تل الشمرة، قرب اللاذقية) عثر على رُقم أخرى مهمّة يعود تاريخها إلى الزمن الواقع بين (1400، 1200 ق. م). وفي هذه الرقم ـ كما هو معروف ـ وجدت الأبجدية الأولى في تاريخ البشرية مكتوبة بالخط المسماري وبلغة أهل أوغاريت.

وحتى في قلب جزيرة العرب فقد نشأت مراكز حضارية، مثل: مكة، واليمن.. وما تزال إنجازات هذه المراكز موضع بحث ودراسة.

لقد لاحظ المؤرخون الغربيون العلاقات بين المراكز الحضارية في الشام والعراق ومصر، كما أشاروا إلى رقيّ الحضارة التي ازدهرت في العصور القديمة، لكنهم لم يشيروا إلى استمرار هذه الحضارة في كلِّ تلك البلدان بعد أن دخل الإسلام إليها. صحيح أنهم لم يقولوا إن الإسلام دمرّ الحضارات التي سادت في هذه البلدان التي دخلها، لكنهم لم يشيروا إلى أن هذه الحضارات استمرت بعد ظهور الإسلام وازدهرت. وهذا الإحجام عن ذكر ذلك يوحي بأن الإسلام كان مرحلة جديدة انقطعت معها صلة هذه البلدان بماضيها، أو أن أهلها تخلّوا عن حضارتهم القديمة. وفي أحسن الظروف يوحي بأن عصراً جديداً بدأ مع الإسلام في هذه البلدان، فتاريخ هذه المنطقة من العالم ينقسم إلى قسمين -عندهم- قبل الإسلام، وبعده، فكأنّه لا صلة بين المرحلتين.

صحيح أن هؤلاء المؤرخين شهدوا بأن المسلمين لم يكونوا فاتحين برابرة متوحشين كما كان غيرهم من الفاتحين، لكنهم في المقابل لم يقولوا إن الإسلام تبنّى كل ما هو إيجابي وإنساني في الحضارات الأقدم ورعاه وساعد على بقائه وتطوّره. ولم يلحظ هؤلاء المؤرخون أوجهَ الشبه الكبيرة بين حضارة هذه الأقطار ومنظوماتها القِيَميّة قبل الإسلام وبعده.

فالتسامح والتعدّدية والمساواة والمواطنة وحرّية الرأي وغيرها من القيم التي تُفَاخِر بها الإنسانية المعاصرة، كانت موجودة في هذه البلاد قبل الإسلام، وتبنّاها الإسلام، بل دعا إليها وبشّر بها. فكان من هذه الناحية استمراراً للقيم الإنسانية النبيلة التي تطورت في هذه البلدان عبر تاريخها الطويل. وفي العلم مثلاً، بل في الطب بخاصّة، كان الأطباء ينحدرون من شتى الأجناس والعروق، كما ينتمون إلى شتى الأديان والمذاهب. وكلهم سواء في قيمتهم الاجتماعية والعلمية والأخلاقية.

ونحبّ أن نشير هنا إلى بعض ملامح تاريخ الشرق العربي قبيل الإسلام، لكي يسهُلَ علينا فهمُ تأثير حضارات هذا الشرق على المرحلة الإسلامية من تاريخ العرب.

لقد ذابت حضارات الشعوب التي ازدهرت في المشرق العربي بعضها في بعضها الآخر، فكان للحضارات السومرية والأكادية والبابلية والآشورية في العراق طابع مشترك أجاد المؤرخون في وصفه والإشادة به. كما كان للعموريين والكنعانيّين طابع آخر مشابه في الشام. ومع الزمن تأثرت حضارات هذه الشعوب بحضارات الأمم المجاورة وأثّرت فيها. وصارت بلاد المشرق العربية في الألف الأخير قبل الميلاد تعيش في ظلال الحضارة الآرامية التي وصل تأثيرها إلى أواسط آسيا. وفي هذا الألف الأخير قبل الميلاد جاء الفرس[1] فاتحين كما جاء الإسكندر على رأس الإغريق[2] الذين أنشأوا في هذه البلاد مستعمرات حقيقية. وفي أوائل الألف الأول بعد الميلاد جاء الرومان وتفاعلوا مع الحضارة السائدة في الشرق.

حينما جاء الإغريق حملوا معهم أفكاراً جديدة لعلّ أهمها رغبتهم في زيادة التعارف بين الأمم والحضارات وأثّروا ـ لاشك ـ في حضارات الشرق، لكنهم تأثروا بها أيضاً تأثّراً كبيراً. واصطلح المؤرخون على استعمال كلمة **الحضارة الهلنستية** للإشارة إلى الحضارة التي نشأت نتيجة للتفاعل بين الحضارة الهيلينية وحضارات الشرق في مصر والشام وبلاد الرافدين.

وفي العالم الروماني الذي انقسم فيما بعد، وصارت بلادنا نتيجة لهذا الانقسام جزءاً من العالم البيزنطي (الروماني الشرقي)، في هذا العالم استمرت الحضارة الهلنستية التي أثّرت في الرومان والبيزنطيين -من بعد- أكثر مما أثروا فيها.

وحينما ظهرت المسيحية وصارت ديناً رسمياً في حوالي القرن الرابع، صارت لغة مدينة الرُّها ـ بل لهجتها ـ هي اللغة السائدة في العالم الآرامي. لأن التراث المسيحي

(1) كان الفرس قد تأثروا كثيراً بحضارة بلاد ما بين النهرين لعدة قرون قبل أن يفتحوا هذه البلاد.

(2) كان الإغريق قد تعلّموا الكثير من حضارة مصر القديمة، ومن آسيا الصغرى ومن الفينيقيين. ولعل أهم ما أخذه الإغريق عن الشرق القديم هو حروف الكتابة للغة اليونانية.

ظهر فيها أولاً لسبقها إلى اعتناق المسيحية[1] وحلت السريانية (لغة الرُّها) تدريجياً محل الآرامية في كثير من البلدان، وبخاصة في المجالات الفكرية.

وفي خضم الصراعات المذهبية المسيحية تميزت كنيسة الأقباط في مصر، وتَرسّخ مذهبها وازدهرت الإسكندرية المسيحية كما سبق لها أن ازدهرت مراراً في عصرها الوثني. وفي العراق وجد المذهب النسطوري ملجأً له خارج نطاق الإمبراطورية البيزنطية، حيث تمتع ببعض امتيازات «اللاجئ السياسي» في دولة الفرس التي كانت تسيطر على العراق. أمّا في الشام فقد تصارع المذهب الأرثوذكسي اليعقوبي مع المذهب الأرثوذكسي الرومي أو الملكي. فالأول هو مذهب أهل البلاد. والثاني هو مذهب القسطنطينية المدينة التي تحكم الشرق المسيحي، ومذهب مبعوثيها في الشرق ومن اتبعهم.

وحينما بزغ فجر الإسلام كان الاضطهاد المذهبي قد أنهك كنائس مصر والشام والعراق، فكان معظم البطاركة رؤساء هذه الكنائس إما منفيين أو معزولين أو أنه لحق بهم ظلم أو حيف أو اضطهاد.

هذا من الناحية الروحية والأخلاقية والدينية. أما من الناحية الاقتصادية والاجتماعية فإن الحروب الفارسية البيزنطية كانت قد أهلكت الحرث والنسل - كما يقولون - فتوقفت التجارة وتجمدت الصناعات الحرفية وتراجع النشاط الزراعي وتبع ذلك كله حالة من الجمود النفسي والاقتصادي والروحي.

جاء الإسلام يحمل مبادئَ الحق والعدل، مكمّلاً مكارم الأخلاق فسوّى بين مواطني الدولة الجديدة وضمن لهم حرّية العبادة ونشَرَ الأمن في طول البلاد وعرضها. لم يكتب التاريخ أنه حصلت هجرة جماعية من العراق أو من مصر هرَباً من الفاتحين.

---

(1) صارت المسيحية ديناً معترفاً به في الرُّها منذ القرن الثاني الميلادي.

ولم يكتب التاريخ أن الفاتحين دمّروا عمراناً أو قطعوا شجرة أو قتلوا مواطناً من أهل البلاد التي فتحوها.

لذلك نفترض أنّه كان من السهل على المؤرخين الغربيين أن يلحظوا أن الزراعة والصناعة والتجارة في البلاد المفتوحة قد استمرت في ظل الإسلام، وأن الاقتصاد لم يتهدم وأن المجتمع لم يتفسخ. فلِمَ لم يشيروا إلى أن سكان البلاد المفتوحة حصلوا - في ظل الإسلام - على ما لم يكونوا قد حصلوا عليه في ظل الفرس أو البيزنطيين. وكيف لم يلحظوا أن حضارة هذه البلاد لم تتراجع ولم تندثر.

ربما نجد لهم العذر إذا لم يفهموا أن حضارة هذه البلاد لم تدخل في عصر ازدهار جديد في ظل الإسلام، لكننا لا نفهم أن يجعلوا من ظهور الإسلام حَدَثاً يقسم تاريخ هذه المنطقة من العالم إلى مرحلتين، مرحلة ما قبل الإسلام حيث ازدهرت حضارات الشرق القديم، ومرحلة ما بعد الإسلام حيث لا حديث عن حضارات الشرق القديم هذه. بل عن حضارة الإسلام وحسب.

الحقيقة أن الإسلام أنعش حضارات البلاد التي انضوت تحت لوائه، فعرفت مرحلة ازدهار جديد في تاريخها.

إنني أزعم أنه لو تأخر ظهور الإسلام لترسخت الحضارة القبطية في مصر: تجمع وتُوَفِّق بين حضارة مصر القديمة وبين المؤثرات الهلنستية الجديدة التي ظهرت في الإسكندرية. وأن استقرار هذه الحضارة في ظل تطور المجتمع المصري وغنى اللغة القبطية كان سيؤدي إلى نشوء أمة قبطية تكون وريثةً لمصر القديمة بكلِّ عراقتها بعد أن تفاعلت مع الهلنستية التي تظاهرت في العصر الإسكندري.

وأكاد أزعم أيضاً أنه كانت ستترسّخ حضارة سريانية في الشام والعراق ترث الآراميين والكنعانيين وكلَّ أسلافهم. وأنه كانت - للأسباب نفسها التي فصلت في

مصر- ستظهر أمةٌ سريانية في الشام والعراق ترث حضارات هذه البلاد القديمة بكل عراقتها وبكلّ ما تركت فيها الهلنستية من تأثيرات إيجابية.

وهاتان الأُمّتان ستكونان الوريثتين الطبيعيتين لتقاليد الشرق القديم وحضارته، كما هما -في الوقت نفسه - وريثتا المسيحية بتعاليمها وقِيَمها الجديدة: المساواة بين البشر، التعددية واحترام الآخر، عدم التمييز بين الأعراق والأجناس المختلفة، وكذلك عدم التفريق بين أتباع المذاهب المتباينة، وإعطاؤهم الفُرَص إيَّاها التي تكفلها المجتمع لكلّ أفراده.

كانت هاتان الأُمّتان ستمثلان تعاليمَ السماء وقيمها من حب وإخاء ورحمة ومساواة وكُلَّ ما نعرفه عن عظمة مبادئ المسيحية ونبلَ مبادئ الحضارات الشرقية القديمة، كانتا ستمثلان أعظمَ ما وصل إلى الناس من رسالات السماء وأعظم ما توصل إليه البشر في ترقّيهم الأخلاقي وتوهجهم الإنساني.

لكن الذي حصل: أنه بزغ فجر الإسلام، فتبنى كلَّ ما هو إيجابي في الحضارات القديمة والديانات السماوية السالفة، وتمكن بذلك من دمج هاتين الحضارتين أو هاتين الأمتين الآخذتين في التكون، وأعطى بذلك لهاتين الحضارتين روحاً جديدة...

لو تكونت أمة سريانية لكان العرب جزءاً رئيساً من مكوّناتها من الناحية العرقية واللغوية، كانت غسان تشكل جزءاً مهماً من سكان بلاد الشام على سبيل المثال، والأمر نفسه ينطبق على اللخميين الذين استقرّوا في العراق وحول الحيرة تحديداً، إضافة إلى قبائل أخرى كثيرة اعتنقت بطون كثيرة منها المسيحية كتغلب.

وحينما عرف أهل هاتين الحضارتين عظمةَ الإسلام ومبادئه ولمسوها بمعايشة المسلمين اليومية رحبوا به. لقد أعطاهم الإسلام الحرية الدينية بل والحرية المذهبية، وأزال عن كاهلهم نير الأجنبي الفارسي أو البيزنطي، وأعاد لحياتهم سعادة العمل والإنتاج، وأشاع الأمن والسلم والطمأنينة في ربوع البلاد. فكيف لم يلحظ المؤرخون

الغربيون ذلك؟ كيف لم يلحظوا موقفَ مسيحيي الشرق من الدين الجديد؟ وكيف لم يلحظوا موقف الفاتحين المسلمين من مسيحيي الشرق؟

لذلك لا أظن أنني أتجنّى على أحد حينما أقول إن المؤرخين الغربيين لم يكتبوا تاريخ بلادنا كتابة علمية تتّسم بالمعرفة الضرورية لكلّ من يكتب التاريخ، وتتسم بالأمانة والنزاهة اللازمتين للقيام بهذه المهمّة العلمية.

لقد كانت الحضارة الإسلامية بمثابة وليد جديد وجد حاضنة مناسبة في الحضارة السريانية والحضارة القبطية. وقد ظلت الحضارة الإسلامية في حالة استفادة من الحضارتين الشقيقتين القديمتين حتى اشتد عودها. وابتدأت الأمة الإسلامية بالتكون، من عناصر قديمة لم يفرق الإسلام بينها، لا بين أجناسها وأعراقها المتعددة، ولا بين أديانها ومذاهبها التي عاملها معاملة أهل الذمة.

لقد حقق الإسلام لغير المسلمين في دولة الإسلام أقصى ما كانوا يصبون إليه. وضمن لهم المساواة والإخاء والحرية الكاملة والمواطنة التامة. ولذلك فإنني لا أقبل ما كتبه مؤرخو الطب الغربيون من أن العرب حينما ظهر الإسلام وأقام دولته قد أخذ الطب عن الفرس والإغريق. لا أقبل ذلك لأن عملية الأخذ هذه كانت قد تمت قبل الإسلام بكثير.

الذين أخذوا الطب الإغريقي وهضموه هم **السريان** في الشام. و**الأقباط** في الإسكندرية. والذين أخذوا الطب الفارسي هم **أطباء جنديسابور**. وكلّ ذلك كان قبل الإسلام بكثير.

لقد جاء المسلمون إلى مدن عامرة في الشام والعراق كان سكانها أو جزء كبير من سكانها من العرب كالرُّها وبصرى الشام والحيرة.

انتقال مصطلحات الطب إلى العرب في فجر الإسلام

حينما استقرّ العرب الفاتحون في مناطق كثيرة من الشام والعراق ومصر وجدوا في هذه البلاد قبائل عربية كانت منذ قرون قد استقرت هناك وساهمت في تشكيل دولة الأنباط ودولة تدمر وإمارة الرُّها. إضافة إلى القبائل التي جاءت مؤخراً ـ فعلى سبيل المثال لخم في الحيرة، وربيعة في كل أنحاء العراق، وغسان في جنوب الشام.

وكان هؤلاء العرب - العرب عرقاً- يتعايشون مع السكان الأصليين الذين كانوا بدورهم نتيجة اختلاط كل الشعوب التي اصطلح في العقود الأخيرة على تسميتها بالشعوب الساميّة.

جاء العرب المسلمون الفاتحون فاحتكوا بالسريان والأقباط والعرب، وكانت العربية سبيلاً للتفاهم في أيامهم كما كانت كذلك قبل أجيال. وعلى ذلك فإن المرضى من العرب الفاتحين تعاملوا مع الأطباء الممارسين في هذه البلاد، وهم حَمَلَةُ الطب السرياني، والطب القبطي. ومن اهتم -من العرب -بتعلّم الطب أو ممارسته وجد في هؤلاء الأطباء ضالته المنشودة.

لقد كانت لغة الطب في مصر اللغة القبطية وهي اللغة التي يتخاطب بها الناس ويخاطب بها المريض طبيبَه. أما اللغة المستعملة في الدراسة فقد كانت اليونانية. أما في الشام والعراق فإن لغة التخاطب، لغة الطب العملي كانت السريانية، في الوقت الذي كانت فيه اللغة اليونانية لغة الخاصّة ولغة الطب النظري. وكثرت في الشام والعراق المؤلفات الطبية المكتوبة بالسريانية وقد وصل بعضها إلى عصرنا. كما أن اسماء هؤلاء الأطباء السريان المؤلفين معروفة من قبل مؤرخي الطب والمشتغلين بعلم المخطوطات.

المتوقع إذن أن يتعلم العربُ الطبَ العملي من السريان والأقباط. وأن يحرصوا على ترجمة كتبهم... وهذا الأمر لا بدّ أن يكون قد صار ظاهرة واسعة الانتشار بعيد الفتح. فالطب حاجة ضرورية لا يستغني عنه الناس من كلِّ الطبقات.

ربما أن بعض المؤرخين الغربيين لم يقبلوا في أعماق نفوسهم أن الإسلام حلّ محلّ المسيحية في مصر والشام والعراق. لذلك لم يدركوا أن المسيحية عاشت في الإسلام، وأنّ مبادئ المسيحية استمرت في الإسلام، قيمُ المسيحية ازدهرت في الإسلام. وعلى ذلك فقد استمر وجود المسيحية في الشرق إلى جانب الإسلام.

حينما انقسم العالم الروماني إلى دولتين روما في الغرب والقسطنطينية في الشرق، تراجع الغرب الروماني، وازدهر الشرق البيزنطي. وإني أرى أن سبب ذلك هو عراقة الشرق القديم الذي نهلت منه القسطنطينية وأنطاكية والإسكندرية. بينما لم يُتَح لروما في محيطها هذه العراقة، التي كان من الممكن أن تضمن لها المنافسة والازدهار.

حينما انقسمت الإمبراطورية الرومانية، توقف تطور الطبّ في روما وأثينا وأوربا اللاتينية، وازدهر الطب في الإسكندرية وجنديسابور وريثتي الحضارتين القبطية والسريانية، في الوقت الذي كانتا فيه أيضاً وريثتي الحضارة الهلنستية. لذلك ازدهرت مدرستان للطب في الإسكندرية وفي جنديسابور.

فلما جاء الإسلام كان مستوى الطب النظري منه والعملي في مصر وفي الشام والعراق على أعلى درجة وصل إليها الطب في تطوره في كلِّ أنحاء العالم، ذلك أن الطب تراث للإنسانية كلها وللبشرية جمعاء.

لما جاء الإسلام وجد الأطباءَ يمارسون المهنةَ بكل كفاءة في كل المدن التي دخلت في الدولة الجديدة.

وجد الخلفاء والولاة ورجال الجيش وأهل المكانة الرفيعة في دولة الإسلام الناشئة، كما وجد عامّة المسلمين أطباءَ من سكان البلاد الأصليين يعالجونهم، ويخاطبونهم في أغلب الحالات بالعربية، إذْ لم تكن العربية غريبة عن أهل المشرق قبيل الإسلام. وكان بعض هؤلاء الأطباء قد درس في الإسكندرية أو جنديسابور أو في مدارس السريان الدينية في مدن الشام والجزيرة الفراتية. ولما استقرت الدولة في بداية العهد المرواني

أدرك أطباء هذه الدولة أهمية المصادر الإغريقية، وأهمية ترجمتها إلى العربية، من السريانية أو من الإغريقية.

لم ينتظر المسلمون حتى عصر الرشيد لكي يقوموا بعملية الترجمة. بل قاموا بها في العصر المرواني.. لكي ينقلوا الطب العملي أولاً من الإغريقية إلى العربية. ولكي ينقلوا بعد ذلك الطب النظري.

لو لم يكن المستوى المعرفي عند هؤلاء الأطباء في العصرين الأموي والعباسي الأول على درجة من الرقي لما أدركوا أهمية الطب النظري فاهتموا بترجمته من مصادره الأصلية.

لم يكن عصر المأمون - عصر الترجمة - **بداية** لنشوء الطب الإسلامي وتكونه، بل كان نتيجةً لرقي الطب عند أهل البلاد التي انضوت تحت راية الإسلام. إن رُقِيّ هذا الطب، رُقِيّ مستوى الأطباء هو سبب بداية عصر الترجمة. وليس عصر الترجمة هو سبب ظهور الطب الإسلامي أو نشوئه كما يظن بعض مؤرخي الطب الغربيون.

لقد تعلم المسلمون الطبّ العملي من سكان البلاد الأصليين، ووصلوا إلى النتيجة المنطقية: إن هذا الطب العملي يفتقر إلى الطب النظري. فالطب علمان: العلم النظري والعلم العملي.

والطب العملي هو الممارسة. لكن الممارسة لا تستقيم دون معرفة نظرية. وإن توقف الطب النظري عن التطور سيؤدي إلى تجمد المعارف الطبية العملية.

لقد أدرك الأطباء في بدايات الإسلام الأولى الحقيقة نفسها التي سبق وأدركها أطباء مدرسة الإسكندرية قبيل الإسلام. ففي القرن السادس الميلادي وقبل ظهور الإسلام أدرك أساتذة الطب في مدرسة الإسكندرية أن الطب النظري الإغريقي قد توقف عن التطور، وأن الذي استمرّ في الحياة هو الطب العملي، مُمَثَّلاً في نوع من الكتب سمّاه السريان: الكُناشات. والكُناش كتاب يعدّد مظاهر الأمراض وأعراضها، ويصف

مؤلفُه الأدويةَ المناسبة للأمراض دونما إشارة إلى أسباب حدوث هذه الأمـراض أو إلى آلية حدوثها، وتطورها، أو آلية ظهور الأعراض والعلامات التي يتميّز بها المرض.

أما كتب الطب النظري فكانت تعنى بعلوم التشريح ووظائف الأعضاء، كما تعنـى بنظريات الإِمراض وبعلم الأعراض والتشخيص، وكذلك بعلم التشخيص التفريقـي وعلم الإنذار.

وأدرك هؤلاء الأساتذة أن استمرار هذه الحال سيؤدي إلى انحطاط العلـوم الطبيـة، لذلك قرّروا أنـه لا بـدّ مـن تـدريس كتـب الطـب النظـري في مدرسـة الإسـكندرية. فاختاروا عشرين كتاباً قديماً وجعلوا منها منهاجاً لتعلـيم الطـب ومقـرّرات ينبغـي أن يَقْرَأَها الطلبةُ على مـدى سـنوات دراسـتهم بـشكل مرتّـب ومتسلـسل، ثـم يتقـدموا لامتحان إنْ نجحوا فيه صاروا أطباء مؤهلين لممارسة المهنة.

هذا الخطر الذي يواجه الطبَّ أدركه أساتذةُ مدرسـة الإسـكندرية، ولم يفطـن إليه أساتذة المدن الأخرى، أثينا أو رومـا أو القـسطنطينية. ولا عجـب في ذلـك، ففي الإسكندرية تكمن روح مصر القديمة مصر العريقة، الحكيمة، والقادرة على تجديد ذاتها.

قام أساتذة الإسكندرية باختصار هذه الكتـب النظريـة وجعلوهـا مُبَسّطة صـالحة للدراسة يستطيع طالب الطب فهمها وحفظها.

وهـذه المـادّة العلميـة الميَسّرة سـمّاها الإسـكندرانيون: المختـصرات Summaria Alexandrinorum، وسماها العرب «جوامع الإسكندرانيين» أي مختصراتهم.

وكما أن أساتذة المدن الأخرى في العالم الأوربي لم يدركوا الخطر الذي أدركه أسـاتذة الإسكندرية، فإنهم لم يدركوا أهمية مـا قـام بـه الإسـكندرانيون، لم يحـصلوا عـلى هـذه المختصرات ولم يفهموا قيمتها.

الذي فهم قيمة هذه الخطوة التاريخية المهمة، وأدرك خطورة الدور الذي ستلعبه في بعث الطبّ من رقاده هو سرجيوس الرأسعيني الذي قدم من بلده للدراسة في الإسكندرية، فلما تخرج وعاد إلى سورية قام بترجمة هذه الكتب إلى السريانية. لكن تأثير هذه الترجمة ظلّ محصوراً في العالم السرياني... مدن شمال الشام (أنطاكية والرُّها ونَصيبين وحرّان وغيرها)، وامتدّ إلى مدن الشام الداخلية وإلى جنديسابور حيث أسّسَ النساطرةُ مركزاً حضارياً وعلمياً سريانياً هِلنستياً في الأحواز التي كانت تحت الحكم الفارسي آنئذ.

ولا بدّ أن المركز التعليمي الطبي في جنديسابور ـ حيث كانت العربية لغةً يفهمها بعض الأساتذة والطلبة ـ قد ساهم في تبيان أهمية هذه المختصرات بين الأطباء الناطقين بالعربية من خريجي جنديسابور وتلامذتها، كما أوصل الفكرة نفسها إلى بغداد الحديثة. ولما ترجم حنين بن إسحاق (ت 264 هـ - 877 م) هذه المختصرات سمّاها «جوامع الإسكندرانيين».

وكما يدين الطب ـ بوصفه تراثاً للبشرية جمعاء ـ للإسكندرية التي بعثت الطب النظري من جديد، وأعادته إلى الحياة. فإن الطب ـ الذي هو تراث للبشرية جمعاء ـ يدين أيضاً لجنديسابور التي أوجدت لأول مرة في التاريخ **المشفى التعليمي**.

والمشفى التعليمي هو المرحلة الفاصلة في التاريخ التي بفضلها تطوّرت عملية التعليم الطبي من مرحلة التعلّم في العيادة الخاصّة، إلى مرحلة التعلم في المشفى.

في الحالة الأولى كان الطبيب يتعلم المهنة كما يتعلمها أي حِرَفي من والده. لا يرى إلا عدداً محدوداً من المرضى. ولا يعرف إلا أستاذاً واحداً. أما في الحالة الثانية فإن الطبيب كان يتعلم المهنة إلى جانب سرير المريض، يرى عدداً كبيراً جداً من المرضى في المشفى، ويقرأ على عدد من الأساتذة، وليس على أستاذ واحد هو في العادة والده، ولا يبدأ هذه المرحلة العملية (السريرية) من التعلّم، إلا بعد أن ينتهي من الدراسة النظرية.

لقد تغيّر الطب نتيجة لهاتين الخطوتين: خطوة الإسكندرية وخطوة جنديسابور فلم يَعُدِ الطبُّ حرفة، بل صار علماً عملياً، لم يعد مهنةً محصورة في أسر معيّنة، بل صارَ مهنة تستند إلى ما نسميه اليوم حق الطالب في التعلّم. انتقلت المهنة من أوساط محصورة بطبقات اجتماعية معينة إلى عامّة الناس، وحققت بذلك ما نسميه اليوم ديمقراطية التعليم.

وكما أن تجربة الإسكندرية ظلت محصورة فيها إلى أن قيّض الله سرجيوس الرأسعيني لكي ينقلها إلى العالم السرياني، فإن تجربة جنديسابور ظلت هي أيضاً محصورة في الأحواز إلى أن نقلها المسلمون إلى بغداد ثم عمّموها في كل أرجاء العالم الإسلامي حينما أنشأوا بيمارستاناً في كل مدينة، وكانت هذه البيمارستانات تشبه مشفى بغداد الذي بناه الأساتذة الذين جاؤوا من جنديسابور وأشرفوا على عملية التعليم فيه.

وكما استوعبت الإسكندرية تراث مصر القديمة الطبي فقد استوعبت جنديسابور تراث فارس، وعن طريق فارس عرفت الكثير من عناصر الطب الهندي ومكوّناته.

وكما أتاح الإسلام لمراكز العلم ومراكز الطب أن تتعارف وتتبادل المعرفة بعد أن انقطعت الصلة بينهما بسبب الحروب الفارسية البيزنطية فقد أتاح الإسلام أيضاً للمشافي وللمدارس الطبية في كل مدن ديار الإسلام أن تتعامل مع الطب التقليدي الموروث والسائد في هذه المدن وفي جوارها.

نرى من هنا كيف كررت التجربةُ الإسلامية في الطب التجربةَ الإسكندرانية والتجربةَ الجنديسابورية، وكيف هضمتها وتمثلتها ونرى من هنا كيف أن الإسلام حافظ على كل إنجازات الحضارات التي سبقته في الشرق الإسلامي، ولم يكن ظهوره توقفاً أو انقطاعاً لسير هذه الحضارات ولإنجازاتها.

خلاصة القول إذاً: إنَّ الشائع بين المستشرقين ومؤرخي الطب في الغرب- والذي أخذه عنهم مؤرخو الطب في العالمين العربي والإسلامي - والذي يتلخص

في أن عصر الترجمة كان **حدثاً مهماً في تاريخ الإسلام**، وأن عصر الترجمة **هذا أدى إلى ولادة الطب الإسلامي**.

وإن ما أود أن أسوقه هنا ربما سيكون مشجعاً على النظر إلى هذه المقولة نظرة نقدية، وينبغي لذلك أن أوجز الحقائق التالية والتي يفترض أن تكون معروفة في أوساط المؤرخين والعلماء والتي سبق أن عرضتها:

1. أخذ الإغريق في الألف الأول قبل الميلاد عناصر كثيرة من المعرفة الطبية من آسيا الصغرى وفينيقيا وبلاد ما بين النهرين ومصر. لا شك أن هذه المصادر كانت خلاصة تراث عريق في التطور الطبي وبخاصة في حقل الممارسة العملية. صحيح أن الإغريق ابتدعوا نظرية طبية مستوحاة من فلسفتهم الطبيعية فصار الطب في عصر جالينوس (القرن الثاني الميلادي) على مستوى عالٍ يمتاز بالشمول والاكتمال والغنى، لكن تأثير الشرق في الطب الإغريقي يجب أن لا يقع تجاهله.

2. حينما جاء الإغريق مع الإسكندر إلى الشرق العربي أتوا معهم بعلومهم الطبية. لا شك أن أطباء مصر والشام وبلاد ما بين النهرين كانوا قادرين على معرفة المادة العلمية التي تعود في جذورها إلى الشرق وكانوا قادرين على تمييزها عن العناصر الجديدة في الطب اليوناني وهي العناصر النظرية وعلى رأسها علما وظائف الأعضاء والإِمراض. وبذلك ينبغي علينا أن نتوقع أن أطباء الشرق عرفوا أنَّ الطب اليوناني ينقسم إلى علمين: النظر والعمل، أو العلم النظري والعلم العملي، وأنهم أدركوا أنه في مجال العلم العملي كانت بضاعة الشرق قد ردت إليه، أما في الطب النظري فلا شك أن الإغريق قد جاؤوا بشيء جديد.

3. على مدى العصرين الهلنستي والروماني من تاريخ بلادنا، وفي بدايات العصر البيزنطي اغتنت المعرفة الطبية بامتزاج طب الشرق القديم بالطب الإغريقي. ساهمت في ذلك الإسكندرية أولاً (بدءاً من القرن الثالث قبل الميلاد). وساهمت في مرحلة

متأخرة كل المراكز الحضارية في طول الشرق وعرضه وصار الطب الهلنستي على درجة عالية من الغنى والتطور متظاهراً في مصر بالطب **القبطي** (الإسكندراني) وفي الشام والعراق بالطب السرياني.

لم يكن العربُ في شبه جزيرتهم أو في المناطق الكثيرة التي سكنوها في الشام والعراق غرباءَ عن المجتمع السرياني، وبكل أوجه حضارته وعلى ذلك فإننا نفترض أن العرب قبل الإسلام تعرفوا على الطب السرياني. وما جنديسابور إلا برهان على الوجود الطبي السرياني في أرض العرب (الأحواز، عربستان اليوم). وما الحارث بن كَلَدة إلا مثال على اتصال العرب بجنديسابور.

4 . حينما جاء الإسلام كان العرب الذين سكنوا الشام والعراق ومصر مضطرين إلى التعامل مع أطباء المنطقة ولا شك أن العربية كانت اللغة المفضلة التي يستخدمها الطبيب في الحديث مع المريض وبخاصة إذا كان المريض من أهل السلطة. ولذلك فإن جنوداً مجهولين كثر كانوا مضطرين إلى ترجمة بعض الاصطلاحات الطبية من السريانية إلى العربية أو من الفارسية إلى العربية.

5. حينما بدأت إرهاصات عصر الترجمة (عصر المأمون 198-218هـ/ 813-833م) كانت بعض المحاولات الجادة لترجمة الطب إلى العربية قد أخذت مجراها ونحن لا نمتلك دليلاً ساطعاً على ذلك إلا الترجمة التي قام بها ماسرجويه البصري (اليهودي)، (القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي) لكُناش أهرن القس الإسكندري (القرن السادس الميلادي، القرن السابع الميلادي، النصف الأول منه) من السريانية إلى العربية في العصر المرواني (مروان بن الحكم 64- 65 هـ/ 683 أو 684-685م).

6 . كتب كثير من الأطباء وبخاصة السريان - الذين عملوا باكراً في البلاط العباسي كتباً ورسائل طبية لم يصل منها إلى عصرنا إلا بعض المقتبسات التي حفظها الرازي في كتابه (الحاوي) ومعظم هذه المقتبسات يقع في حقل الطب العملي. وقد

وصل إلينا كتابُ (الرسالة الهارونية) الذي ألفه: عيسى بن حكم الدمشقي المعروف بمسيح الدمشقي، (توفي بعد225 هـ/ 839م) في عصر هارون الرشيد (170 ـ 193هـ/ 786 - 809م)، هذا الكتاب لا يعدو كونه كُناشاً غنياً بأسماء الأدوية التي كانت مستعملة في الشام، وربما في العراق أيضاً والتي تعكس المعرفة الطبية السريانية في ذلك العصر[1].

7. ووصل إلينا أيضاً كتابٌ باللغة السريانية يعكس هو أيضاً المستوى المعرفي في بدايات الإسلام (عُرِف هذا الكتاب باسم العالم الذي حققه BUDGE).

8 . لم تجري حتى الآن دراسة مقارنة للمادة الدوائية الموجودة في الكتابين المشار إليهما هنا.

---

(1) الهارونية: (ص 209): «القول في خواص النَّسْر: مرارته تذهب بالماء النازل في العين، إذا قطرت فيها سبع مرات،.. تذاب بالعسل وتُقطَر في العين تنفع من الجرب والحكة الكائنة فيها».
ـ الهارونية: (ص 253): «النُّشَادِر:.. وهو جيد للعين، يقوي البصر ويذهب بالأُكال من العين».
ـ الهارونية: (ص 255): «باب نعت الإِثْمِد [حجر يخالطه الرَّصاص في جسمه]:.. وهو ينفع العين ويقع في كثير من الأكحال، فإن لم تكن العين اعتادته أرمدها على المكان».
«باب نعت التُوتْيَاء: وكل التُوتْيَاء تنفع للرطوبة المنحلة من العين».
ــ الهارونية: (ص 261): «والزَرْقُون من الإسْفيذَاج [أسْفِيذَاج الرَّصاص: كربونات الرصاص القاعدية] وهو نافع من بَياض العين الحادث فيها من الأوجاع وينفع للجراح»(4).
«الرُوسَخْتَج [النحاس المحرق] نافع للعين التي قد جربت وينفع للسُلاق والاحتراق وينفع الأجفان التي قد استحرت، ولا ينبغي أن يدخل مفرداً».
ووجدنا في (الهارونية) مصطلحات تتعلق باسماء الأمراض في العين منها:
الحَدَقَة بمعنى المُقْلَة، الجَرَب والحِكَّة الكائنة فيها، (حِكَّة العين بمعنى حِكَّة الجفون)، غَشْوَة العين أو غِشاوَة البَصَر، نزول الماء في العين، القدح، الشَّعر الزائد، الظَّفَرَة، الدَّم المُنعقد في العين، بَياض العين، الكُمْنة، العمش، الرَّمَد، ظُلْمَة البَصَر أو ظُلْمَة العين، الأُكال، رطوبة العين، القُروح، البُثور، الخُشونَة التي في العيون، الدَّمْعَة الدَائمة، سقوط شَعْر الحاجِب، الأجفان التي قد استحرَّت، الحُمْرة، الآثار، الغمام، الصِئبان، وَجَع العين أو وَجَع البَصَر.

9. نفترض أن أطباء دولة الإسلام في عصر الرشيد قد وصلوا إلى قناعة بأن الطب ينبغي أن يُبْحَثَ عنه من منابعه الأصلية طالما أن ما وصل منه يعتمد على الطب الإغريقي وبخاصة النظري.

10. وقد عزز هذه القناعة لديهم وجود مشفى في بغداد يديره أساتذة من جنديسابور، ولم يكن هذا المشفى مكاناً للعلاج فحسب بل كان مدرسة للطب يتعلم فيها الطلبة **الطبَّ العمليَّ** إلى جانب سرير المريض برفقة أساتذتهم. وهذا ما نسميه اليوم **(التدريب السريري)**.

وقد تناسب هذا الوعي المعرفي عند أساتذة الطب في بغداد مع وعي رجال الدولة وفهمهم لضرورة الإطلاع على علوم الأولين من أجل بناء أسس راسخة للدولة الحديثة، دولة الإسلام.

نستنتج من ذلك أن المستوى الطبي الرفيع لأطباء بغداد وأساتذة بيمارستانها ووعيهم الابستيمي وإحساسهم بالمسؤولية هو الذي دفعهم إلى بدء عملية الترجمة مُلَبِّين بذلك رغباتهم واحتياجاتهم وطموحاتهم العلمية في الوقت الذي يلبون فيه رغبة رجال الدولة في بناء أسس الدولة الحديثة على ركائز علمية راسخة تستفيد من تجارب الأمم السالفة، فحركة الترجمة إذاً كانت نتيجة لوعي الأطباء وأساتذة الطب إذ لو لم يكن هؤلاء على هذا المستوى من الوعي لما أدركوا أهمية الترجمة ولما كانوا قادرين عليها.

من هنا لا نستطيع أن نفهم ما استنتجه مؤرخو الطب الغربيون من أن عصر الترجمة كان بداية تكوّن الطب الإسلامي.

إنَّ عصر الترجمة كان نتيجةً لوصول الطب الإسلامي في العصر الأموي والعصر العباسي الأول إلى أعلى مستوياته في العالم القديم ذلك الزمن.

هذا لا يقلّل من أهمية عصر الترجمة بل يضعه في إطاره الصحيح إذا أخذنا بعين الاعتبار الحالة السياسية والاجتماعية والعلمية في عاصمة دولة الخلافة.

المصدر الأول للعلوم الطبية الذي تعرّف عليه العرب في العصر الإسلامي هو الطب السرياني المكتوب بطبيعة الحال باللغة السريانية أولاً ثم الطب الإسكندراني (القبطي) المكتوب باليونانية.

ظهور المصطلح:

نحاول الآن أن نمتحن هذه الفرضية:

أولاً: إذا عدنا إلى بدايات عصر الترجمة نلاحظ أن بعض المصطلحات اليونانية حينما تُرْجمت اختير لها مصطلح فارسي شائعٌ في بغداد مفهوم من قبل عامة سكانها بدلاً من اختيار مصطلح عربي مفهوم أيضاً من قبل السكان. ذلك أن المصطلح العربي شائع في اللغة لكنه لم يسبق له أن استعمل في الأوساط الطبية استعمالاً خاصّاً، بينما المصطلح الفارسي الذي كان مفهوماً من قبل الأطباء والعامة على السواء يحمل طابع الاصطلاح العلمي المستعمل بين الأطباء.

والمثال على ذلك هو كلمة: **(شَبكور)** التي اشتق العرب منها كلمة **(الشَبْكَرَة)** لتعني العمى الليلي. فشَبكور مصطلح علمي فارسي مكون من كلمتين: شب بمعنى: الليل، وكور بمعنى: العمى. فالمريض المصاب بالعمى الليلي يُسَمَّى بالفارسية: شَبكور. ويبدو أنه كان يسمى كذلك في عامية بغداد في عصر الترجمة لذلك أخذ التراجمة هذا المصطلح واستعملوه صفةً للمريض كما اشتقوا منه كلمة **شَبكرة** لتكون مصطلحاً يدل على المرض أي على **العمى الليلي**. ولم يستعمل العرب الأطباء منهم والتراجمة في ذلك العهد كلمة **العشا** المعروفة في اللغة والشائعة بين الناس، ذلك أنهم كانوا يرجحون - على ما يبدو - الكلمة التي استعملت اصطلاحاً[1].

(1) كتاب العين: (2 / 188): «والعَشَى مقصوراً مصدر الأعشَى، والمرأة عَشْواءُ، ورجال عُشْوٌ، والأعشى هو الذي لا يبصر باللّيل وهو بالنّهار بصير، وقد يكون الذي ساءَ بَصَرهُ من غير عمىً، وهو عَرَض حادثٌ ربّما ذهب. وتقول: هما يَعْشَيانِ. وهم يَعْشَوْن، والنّساء يَعْشَيْن،..

←

والأمر نفسه يقال عن كلمة (روزكور) التي تعني العمى النهاري والتي تَعرِف العربية مقابلاً لها لم يسبق أن استعمل كمصطلح وهو كلمة **الجَهَر**[1].

وإذا خرجنا عن نطاق طب العيون فإننا نجد أن أهل بغداد كانوا يستعملون كلمة السِّرْسام (السُّرسام) الفارسية وهي كلمةٌ مركبةٌ من «سَرْ» التي تعني: رأس، و «سام» التي تعني: مرض. فسِرسام تعني: مرضُ الرأسِ[2].

وحينما أراد التراجمة أن يجدوا مصطلحاً عربياً يقابل مصطلح **(فَرانيطس)** الإغريقي الذي يعني التهاب (ورم) أغشية الدماغ اختاروا كلمة سِرسام المفهومة من عامة الناس

وناقةٌ عَشْواءُ لا تُبصِرُ ما أمامَها فَتَخْبِطُ كلَّ شيءٍ بيدها، أو تقعُ في بئرٍ أو وهْدةٍ، لأنّها لا تَتَعاهدُ موضع أَخْفافِها. قالَ زهير: رأيتُ المنايا خبطَ عشواءَ من تُصِبْ تُمِتْهُ ومَنْ تُخْطِئْ يُعَمَّرْ فيَهْرَمِ وتقول: إنّهم لفي عَشْواء من أمرهم، أو في عمياء».

- دغل العين، المخطوط: «وأما العشا والشبكرة..»
- المسائل في العين: مسألة 202، (ص 73): «لم صار الإنسان يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل؟ جواب لسببين:... ويقال لصاحب هذه العلة شَبكور وبالعربية أعشى».
- معرفة محنة الكحالين، المخطوط: «مسألة: فإن سأل سائل فقال من قبل أي شيء يبصر الإنسان بالنهار ولا يبصر بالليل؟ الجواب في ذلك أن يقول من.... وهذه العلة تسمى الشبكرة عليلها شَبكور».
- حقائق أسرار الطب: ص 133: «العشا: هو أن يبطل البصر ليلاً ويبصر نهاراً».

(1) كتاب العين: (3/ 389): «ونعجةٌ جَهْراء، وكبشٌ أَجْهَرُ، أي لا يبصران في الشمس، ويقال في كل شيء».

- الحاوي: (2/ 205): «السابعة من السادسة: قال: قد يعرض لقوم ضد ما يعرض للأعشى حتى أنهم يبصرون بالليل وفي قليل الظلمة أكثر منه بالنهار ويسمى بالعربية الجهر»
- المسائل في العين: (مسألة 203، ص 73): «لم صار الإنسان يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار؟ جواب: لأحد أمرين... ويقال لمن يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار روزكور»

(2) أبو الحسن الطبري: (المعالجات البقراطية، المخطوط): «السِّرسام: وتفسيره مرض الرأس لأن السام عندهم في لغتهم المرض والسر هو: الرأس».

ولم يستعملوا كلمة عربية مركبة(1). ذلك أن المصطلح الذي أرادوا ترجمته لم يكن مفهوماً لأنه أعجمي بينما المصطلح الذي استعملوه كان مفهوماً رغم أنه أعجمي.

والأمر نفسه يصلح لتفسير استعمال التراجمة لكلمة البِرْسام (البَرْسام) فبِرْسام كلمةٌ مركبةٌ أيضاً: و«بَرْ» تعني: صدر، لذلِكَ فإنَّ برسام تعني: (مرضُ الصدرِ)(2). والصدرُ هنا يعني الحجابَ الذيّ يغلّفُ الرئتين ويبطّنُ الأضلاعَ.

---

(1) على حدِّ تعبير الأستاذ إبراهيم بن مراد، تفسير كتاب دياسقوريدوس،مقدمة المؤلف: (ص 53):
«.. فقد عامل ابن جلجل في كتابه المصطلحات اللاتينية معاملة اصطفن بن بسيل وحنين بن إسحاق من قبْلُ المصطلحات الفارسيَّة التي (عَرّبَا) بها المصطلحات اليونانية».
ـ القانون: (2/ 76): «فصل في فرانيطس وهو السِّرسام الحارّ:.. إن فرانيطس والسِّرسام اسم مخصوص بورم حجاب الدماغ إذا كان حاراً، وإن كان في بعض المواضع قد أطلق أيضاً على ورم جوهر الدماغ، وهو الاستعمال الخاص لهذا الاسم، إلا أنه منقول من اسم العرض الذي يلزمه وهو الهذيان واختلاط العقل مع حرارة محرقة، فالاسم العامي واقع على هذا العرض، والصناعي على هذا الورم. وهذا النقل شبيه بنقل اسم العرض وهو النسيان إلى مرض يوجبه ويقتضيه، وهو السِّرسام البارد، وإذا استعمل السرسام بالاستعمال العامي، دخل فيه السرسام الدماغي، وهو هذا.
ومن الناس ممن لا يعرف اللغات يحسب أن البرسام اسم لهذا الورم، وأن السرسام أخف منه، وليس ذلك بشيء، فإن البرسام هو فارسي، والبر هو الصدر، والسام هو الورم. والسِّرسام أيضاً فارسي، والسر هو الرأس، والسام هو الورم....
والاشتراك الواقع في هذا الاسم تختلف أوصاف المصنفين له،.. لكن السِّرسام الحقيقي بحسب الاستعمال الصناعي هو ما قلناه...»
ـ ابن الحشاء (ص 124): «وهو في الفارسيّ سُرْسام، بالسين المهملة المضمومة»
(2) الكُناش: (ص 315ـ316): «السرسام اسمه باليونانية فرانيطس: وهو ورم يحدث في غشاء الدماغ وتتبعه حمى مطبقة. أو يحدث ورم في الحجاب المسمى.. وتتبعه حمى حادة... برسام.. بالفارسية، اسم الصدر عند الفرس (بر) والرأس عندهم اسمه (سر). فما كان من ورم الدماغ يسمى سِرسام، وما كان من ورم حجاب الصدر سمي بِرسام، لأن الصدر حاو للحجاب فاشتُقّ له اسم من ذلك».
ـ مفتاح الطب: (ص 711): «البرسام: ورم في الصدر من انصباب نزلة إليه».
ـ انظر الهامش السابق: (القانون: 2/ 76).
ـ لسان العرب: 12/ 46: «البِرسام: الموم. ويقال لهذه العلّة البِرسام، وكأنه معرّب. وبر: وهو الصدر، وسام من اسماء الموتِ،... العلة إذا كانت في الرأس يقال سِرْسام، وسِرْ هو الرأس».

ونرجح أن طريق هذه المصطلحات الفارسية (إطلاق اسم فارسي على المرض) إلى بغداد أتى من جنديسابور التي كان أساتذتها يتقنون اليونانية والسريانية والفارسية: فاليونانية هي لغة الطب النظري الذي وصل إلى مركز جنديسابور العلمي، والسريانية هي لغة الأساتذة النساطرة الذين وجدوا في فارس ملجأً لهم أمنوا فيه من اضطهاد الكنيسة البيزنطية.

ونحن نعرف أن أهل جنديسابور كتبوا عدداً من المعجمات الطبية عديدة اللغات كانت هذه اللغات الثلاثة أساساً فيها وأن اللغات التي كتبت بها هذه المعجمات تبلغ خمس لغات في أدنى تقدير قام بها مؤرخو الطب وتصل إلى عشر لغات في أعلى تقدير. ألا يحقّ لنا أن نتوقع أن العربية كانت اللغة الرابعة المستعملة في هذه المعجمات. وقد حفظت المصادر العربية إشارات كثيرة إلى هذه المعجمات: (قالت الخوز)، والخوز كما هو معلوم سكان بلاد الأحواز التي كانت جنديسابور مركزها العلمي على مدى قرون واستمرت حتى عصر الرشيد.

درس سرجيوس الرأسعيني الطب في الإسكندرية في القرن السادس الميلادي، ولما عاد إلى بلاده ترجم من الإغريقية إلى السريانية المنهج الطبي النظري الذي كان معتمداً في مدرسة الإسكندرية للتدريس.

ومن المعلوم أن هذا المنهج كان يتكون من عشرين كتاباً في الطب النظري، ستة عشر منها لجالينوس، وأربعة لأبقراط وأن أساتذة الإسكندرية اختصروا هذه الكتب العشرين وجعلوا منها مقررات يدرسها الطلبة على مدى سنوات.

شاعت هذه الترجمة في رأس العين وفي المدارس السريانية القريبة منها (أنطاكية، والرُّها، ونَصيبين) ووصلت إلى جنديسابور. ولا نمتلك دليلاً على أن أساتذة جنديسابور ترجموا أصول هذه الكتب، في الوقت الذي نمتلك فيه ما يؤكد أنَّ بعض كتب أبقراط أو جالينوس ترجمت في بدايات عصر الترجمة قبل عصر حنين.

نعني بذلك الترجمات التي أشار اليعقوبي، لكننا لا نعرف إن كانت ترجمت إلى العربية من الإغريقية أم من السريانية.

وثمة ترجمات قديمة كثيرة أشار إليها حنين في رسالته إلى علي بن يحيى المنجم ومنها ترجمات أيوب الرُّهاوي (المعروف بالأبرش)، (3 هـ/ 9م).

أما حنين بن إسحاق فقد ترجم أعمال الإسكندرانيين واختار لها عنواناً: (جوامع الإسكندرانيين) وفي الوقت نفسه قام حنين بترجمة الكتب الأصلية التي اختصرها الإسكندرانيون وكان في بعض الأحيان يقوم بإعادة اختصار هذه الكتب الأصيلة أو بشرحها. وفي حالة كتب أبقراط التي شرحها جالينوس كان حنين يترجم الملخص الإسكندراني ثم شرح جالينوس لكتاب أبقراط أو تلخيصه له ثم يترجم كتاب أبقراط بنصه الأصلي.

هذا يدلنا أولاً على أن النصيب الأكبر في وصول الطب الإغريقي إلى العرب كان عن طريق حنين بن إسحاق فيما يتعلق بالطب النظري ومن هنا حق للمؤرخين أن يقولوا بأن حنين بن إسحاق هو المؤسس الحقيقي للطب الإسلامي. أما الطب العملي فقد وصل إلى العرب كما سبق وأشرنا بأحد طريقين أولهما التماس بين طلبة الطب العرب وأساتذتهم السريان في العصر الأموي ثم بترجمة كناش أهرن القس وخروجه للناس أيام عمر بن عبد العزيز (717ـ720م) هذه الترجمة التي تمت كما ذكرنا من السريانية إلى العربية.

وصل الطب القديم إذن إلى المسلمين على مرحلتين:

الأولى وصول **الطب العملي** منذ بدايات الإسلام بالاحتكاك، ثم بترجمة بعض أهم مصادر هذا الطب العملي. نعني بها كناش أهرن.

والثانية: هي مرحلة وصول **الطب النظري** التي جاءت بداياتها قبيل عصر حنين ووصلت إلى ذروتها على يديه بمساعدة بعض تلامذته من أمثال: حبيش الأعسم،

وعيسى بن يحيى، وإسحاق بن حنين، واكتملت عملية النقل هذه بترجمات تأخرت لعل أهمها ترجمة ابن الخمار (ابن سوار)، (ق4هـ/ 10-11م) لكتاب أيتيوس الآمدي.

أمثلة:

حينما أراد التراجمة ترجمةَ الطب اليوناني من مصادره الأصلية وجدوا كلمة (فرانيطس)[1] التي تدلّ في اليونانية على مرض حارّ[2] يصيب الدماغ أو أغشيته. فترجموا المصطلح اليوناني إلى (سِرسام)[3] لأن هذا المصطلح الفارسي كان مفهوماً عندهم رغم عجمته. وسبب شيوع هذا المصطلح **الفارسي** في العراق عند العرب والعجم هو الاختلاط بين الشعبين وتأثر الأطباء بمدرسة جنديسابور التي كانت تعرف المصطلحات اليونانية والسريانية والفارسية.

وكثيراً ما نجد مصطلحاً **عربياً** ظهر في العراق أو في الشام باكراً بين عامّة الناس قبل أن يظهر بين الأطباء وفي كتبهم. أي قبل عصر الترجمة. من هذه المصطلحات كلمة (الظَّفَرَة)[4] التي هي مرض في العين يتظاهر على شكل الظُّفْر في بياض العين ويصل إلى سوادها. والظَّفَرَة كلمة عربية استعملت بمثابة مصطلح طبي، لتدل على اسم مرض محدّد.

---

(1) المئة في الطب: (2/ 557): «أمراض الدماغ.. أحدها فرانيطس وهو الورم الحارّ في الدماغ وفي الغشاء المحيط به ويسمى السِّرسام».
- القانون (2: 76): «... يقال فرانيطس للورم الحارّ في حجاب الدماغ الرقيق أو الغليظ».
- مفتاح الطب: (ص 702): «السِّرسام: ورم الدماغ، ويقال باليونانية: فرانيطس».
[والورم الحار في مصطلحات ذلك العصر، هو الالتهاب الحادّ بلغة اليوم، وحجاب الدماغ هو السحايا].
(2) التنوير، المخطوط: « علامات المرض:.. حمّى قوية، وهذيان، واحمرار العينين، وكراهية الضوء...».
(3) سبق وعرفنا بأصل هذا المصطلح في فقرة سابقة.
(4) كتاب العين: (8/ 158): «الظُّفْرةُ: جُلَيْدَة تَغْشى العَيْن تَنْبُتُ من تِلْقاءِ المَآقي، ورُبَّما قُطِعَتْ، وإنْ تركتْ غَشِيَت بَصَرَ العَيْن حتى يَكِلَّ».

مثل الظَّفَرَةِ، مصطلحٌ آخر: (**البَرَدة**)، التي هي مرض يصيب الجفن ويشبه في شكله حبة البَرَد. وفي اللغة لا نجد كلمة **البَرَدة**، بل **البَرَد**[1]. وهذا يعني أن الأطباء أو التراجمة أو عامّة الناس اشتقوا كلمة **البَرَدة** من كلمة **البَرَد** واستعملوها أي أنهم جعلوا منها اصطلاحاً طبّيّاً.

لا ندري من هو أول من قام بهذا العمل، لكننا نجد المصطلح في أقدم الكتابات الطبية العربية[2].

وإذا أردنا أن نأتي بمثال آخر من حقل أمراض العين، فإن المرض المسمى الآن **العشا** كان معروفاً عند العرب منذ أقدم العصور، والمريض المصاب بهذا المرض هو الأعشى، لكن أهل العراق ـ نتيجة اختلاطهم بالفرس ـ استعملوا الاسمَ الفارسيَّ للمريض فهو شَبْكور، يبصر نهاراً ولا يبصر ليلاً.

ـ العشر مقالات في العين: (ص 128): «فأما أمراض الملتحم.. وأما الظَّفَرة: فهي زيادة من الملتحم عصبية، أول نباتها من المأق الأكبر ثم تنبسط إلى سواد وسط العين، حتى إذا عظمت غطت الناظر ومنعت البصر..».

(1) لسان العرب: (1/ 293): «ويقال للبَرَدِ: حَبُّ الغَمامِ. وحَبُّ المُزْنِ،..»
ـ لسان العرب: (3/ 85): «والبَرَدُ: حبُّ الغمام...»
ـ إيمان الرمضان: (أطروحة لنيل درجة الماجستير، جامعة دمشق)، (ص 211 - 212): «ورد هذا المرض عند الأطباء على أنه البَرَد أو البَرَدَة، ونعتقد أن الصواب ما استخدمه ابن سينا (البَرَدَة) لأنه لفظ مفرد دال على رطوبة تتحجر، فهي حبة بيضاء واحدة.
ورد لفظ البَرَدَة في المعجمات اللغوية دالاً على معنى يغاير تماماً المعنى العلمي الاصطلاحي الذي وضعه الأطباء، وهو مشتق من المعنى الدال على نقيض الحرارة، فالبَرَدة اسم دال على التُّخمة. وسميت التُّخمة بالبَرَدَة لأنها تبرد المعدة فلا تستمرئ الطعام ولا تنضجه».

(2) المسائل في العين، ـ المسألة: 139، (ص 56): «العلة التي يقال لها البرد الحادثة في الجفن مماذا تكون وما علامتها؟ جواب: تكون من رطوبة غليظة تجمد في باطن الجفن، وأما علامتها فشبيهة بالبرد»
ـ الحاوي: (2/ 222): «أوريباسيوس: للشعيرة والبرد...».
ـ الحاوي: (2/ 250): «الخوز:... إن سحق وطلي على الشعيرة والبردة أذهب بهما».

وصار اسم المريض في المصطلحات العربية **الشَبْكَرَة** إلى جانب العَشا أي: العمى الليلي واستعمل الأطباء اصطلاح العشاوة أيضاً.

والأمثلة ليست نادرة، فمصطلح بِرسام جاء ـ كما جاء مصطلح سِرسام ـ ليعني المرض الناجم عن التهاب أغشية الرئة، أو حجاب الصدر ونسميه اليوم **ذات الجنب**، وهو اسم عربي أصيل.

وكذلك استُعْمِلَ مصطلحُ روزكور للأسباب نفسها التي دعت إلى استعمال مصطلح شَبْكور، فالمريض لا يبصر في النهار لكنه يبصر في الليل. ونسمّي المرَض اليوم العمى النهاري.

وفي مرحلة متأخرة استقرّ المصطلح العربي، وغابت المصطلحات ذات الأصل الفارسي أو الإغريقي، بشكل عام، فصار عامّة المؤلفين يستعملون العَشا[1]، والجَهَر[2] للدلالة على العمى الليلي، والعمى النهاري، لكن المصطلحات الأعجمية في معظم الأحيان ظلت تعيش إلى جانب المصطلح العربي عند الأطباء حتى عصر القوصوني[3] (القرن السابع عشر) لكنها غابت عند عامّة الناس.

هذه المصطلحات الطبية الفارسية التي كانت شائعة في العراق في عصر الترجمة، نُرَجِّح أنها كانت معروفة قبل عصر الترجمة بكثير نتيجة اختلاط العرب والعجم

(1) نور العيون: (ص 506): «في العَشا وهو الشَبْكرة وعلاجه..»
ـ المهذب: (ص 460): «في العَشا ويسمّى الشَبكرة..»
ـ كشف الرّين: (ص 216): «الشَبكرة: هي تعطل البصر ليلاً».
(2) نتيجة الفِكر: (ص 143): «الجَهَر: وأما الجهر ويسمى الروزكور..»
ـ المهذب: (ص 462): «في الجَهَر ويسمى الخَفَش..»
ـ حقائق أسرار الطب: (ص 133): «الجهر: هو أن لا يرى نهاراً ويبصر ليلاً».
1 ـ قاموس الأطباء: (1/ 177): «الشَبكرة بالفتح العَشا بالعين المهملة».
ـ قاموس الأطباء: (2/ 261): «العشى بالتحريك والقصر هو سوء البصر ليلاً..».

والسريان في العراق، وبسبب وجود مركز جنديسابور الطبي الذي كان يستعمل اللغتين اليونانية والسريانية في التعليم إلى جانب الفارسية لغة منطقة الأحواز في العصر الفارسي، ولا بدّ أن اللغة العربية لغة أهل البلاد كانت مستعملة ـ على الأقل ـ بين طلبة الطب العرب والسريان الذين كانوا يعيشون في العراق والشام حيث يختلط العرب والسريان اختلاطاً يومياً.

أما في الشام قبل عصر الترجمة، فإن الأمر يختلف، ذلك أنه وصل إلى عصرنا كتاب طبي بمثابة كناش كتبه عيسى بن حكم الدمشقي (المشهور بمسيح الدمشقي) وهو حفيد أحد الأطباء الذين عاصروا معاوية، أهداه إلى الرشيد، وسماه (الرسالة الهارونية في الطب) وفي هذا الكتاب نجد مئات المصطلحات الطبية، ولا نكاد نجد فيها مصطلحات فارسية.

وتفسير الأمر هيّنٌ -على ما نظن - فإن الشام كانت بعيدة عن نفوذ جنديسابور الطبي رغم أن بعض أطبائها يمكن أن يكونوا قد درسوا هناك، وإضافة إلى ذلك فإن النفوذ الفارسي كان في الشام معدوماً بسبب العداء بين بيزنطة وفارس، والمهم من ذلك هو نفوذ الطب السرياني في الشام.

وفي حدود ما نعلم فإن أول الأطباء الذين فسّروا معنى هذه الكلمة الفارسية هو الكشكري[1] في كُنّاشه[2]: «.. فيحدث في البصر العَشا، ويسمّى بالفارسية شَبكور، ومعناه أعمى الليل»[3].

---

(1) الكشكري، يعقوب: أحد أساتذة الطب في بغداد. عمل في عدد من مشافي بغداد «بيمارستان بدر، وبيمارستان صاعد، وبيمارستان السيدة أم المقتدر».
وانظر: نشأت الحمارنة: آراء ودراسات: (2/ 161 ـ 166).

(2) كتب الكشكري كناشه بعد عام: (922) م، وقبل عام (932 م).

(3) الكُنّاش: (ص 38).

وبعد حوالي نصف قرن من ظهور كُناش الكشكري يكتب أبو الحسن الطبري[1] صاحب المعالجات البقراطية: «الشَبكرة هي اسم بالفارسية وهي العَشا بالعربية»[2].

الشَبْكرة

نصادف هذا المصطلح في أحد أقدم الكتب الطبية وهو كتاب (معرفة محنة الكحّالين): الذي كتبه يوحنا ماسويه في النصف الأول من القرن الثالث الهجري[3]:

«الشبكرة[4]:.. يُبْصِرُ الإنسان بالنهار، ولا يُبْصِرُ بالليل.. وهذه العلة تسمى الشَبكرة وعليلها شَبكور»[5].

وابن ماسويه ذكر هذا المرض في كتابٍ أَلَّفهُ قبلَ تأليف كتاب (معرفة محنة الكحّالين) وهو (دَغَلُ العين)[6]، ذكر اسمه السرياني[7]، كما ذكر اسمه العربي: العشا. أمّا في (الكُنّاش المشجّر) فقد كتب ابن ماسويه: «الأعشى: يكون بصره في النهار صحيحاً، لا ضعف فيه، ويضعف عند غروب الشمس، ولا يُبْصِر بالليل شيئاً»[8].

---

(1) أحمد بن محمد الطبري، يرجح أنه توفي حوالي (375 هـ ـ 985م)

(2) المعالجات البقراطية، المخطوط: (1/ 219).

(3) توفي يوحنا بن ماسويه عام (243 هـ ـ 857 م).

(4) معجم المعربات الفارسية: (ص 107): «شَبكرة تعطُّل البصر ليلاً. معرب: شب: ليل، كور: أعمى. شَبكور: الذي لا يرى ليلاً. واشتق العرب منها (الشَبْكرة) وفسروها بالعشاء وهو ضعف البصر ليلاً».

(5) معرفة محنة الكحالين، المخطوط

(6) (دغل العين، المخطوط): «الفصل الحادي والثلاثون: القول على الوجع الذي يسمّى بالسرياني ــ وهو العشا».

(7) وفي مخطوط القاهرة (صَمَرْمَرا) كتب الناسخ (سرماري).

(8) تحقيق الأستاذة سميرة القمري. (التحقيق لم يُنْشَر بعد) عن مخطوطتي الهند، خدابخش/ بانتة، الورقة 38 وجه، ومكتبة مولانا بركات الصمد.

وفي حوالي منتصف القرن الثالث الهجري ذكر حنين بن إسحاق[1] وصف هذا المرض: «يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل... ويقال لصاحب هذه العلّة: شَبكور، وبالعربية: أعشى»[2]. و«يرى بالنهار ولا يرى بالليل، مثل ما يعرض للأعشى وهو المسمّى باليونانية نوقطالوبس[3]»[4].

ابن ماسويه إذن يعرف الاسم العربي للمرض (العشا)، لكنه يذكر المرَض ويعرّف به باسمه الفارسي (الشَبكرة)، في الوقت الذي يَعرِف فيه الاسم السرياني للمرض. وحنين يعرف الاسم الذي يُطْلَقُ على صاحب هذه العلّة: (الأعشى).

ومع ذلك يذكر أولاً الاسم الفارسي لصاحب العلة: (شَبكور)، في الوقت الذي يعرف فيه الاسم اليوناني.

ومما يسترعي الانتباه أن هذين الأستاذين لم يكتبا لنا تفسيراً للكلمة الفارسية، مما يدعونا إلى ترجيح الافتراض القائل أن معنى هذه الكلمة الفارسية كان معروفاً في بغداد في ذلك الوقت.

وقد استعمل محمد بن زكريا الرازي[5] الذي عاش في نهاية القرن الثالث ولحق القرن الرابع الهجري مصطلح العَشا في كتابه: (التقسيم والتنشجير)[6]. كما استعمل في كتابه (المنصوري في الطب)[7] التعبيرين العربي والفارسي.

---

(1) عاش حنين بن إسحاق بين سنتي: (194 ـ 260 هـ = 809 ـ 873 م).

(2) المسائل في العين، المسألة: 202، (ص 73).

(3) كتبها مايرهوف في ترجمته لمقالات حنين: (ص 144)، الترجمة (ص 73): نوقطالوبس nyctalopes. والاسم اليوناني للمرض ما يزال مستعملاً في طب العين الحديث: nyctalopia.

(4) العشر مقالات في العين: (ص 144).

(5) عاش الرازي بين عامي: (251 – 313 هـ = 865 – 925 م).

(6) التقسيم والتشجير: (ص 130).

(7) المنصوري، (ص 399): «في العَشا في العين وهو الشَبكور..». وفي المشجرة، (ص 34): «مسألة: لم صار الإنسان بالنهار يبصر وبالليل لا يبصر؟..»

ويجب الانتباه إلى أن بعض المؤلفين في القرن الثالث الهجري اكتفوا باستعمال مصطلح العشا دون ذكر المصطلح الآخر (الشبكرة). وأحد هؤلاء هو علي بن سهل (ربن) الطبري الذي عاش معظم حياته في طبرستان، بعيداً عن بغداد، وذلك في كتابه: (فردوس الحكمة)[1]. والآخر مؤلف مجهول كتب (الذخيرة في الطب)[2] الذي نحله كثيرون إلى ثابت بن قرة. وهذا غير صحيح.

وفي الوقت الذي استعمل فيه بعض المؤلفين الكلمة العربية (العَشا) استعمل بعضهم الآخر كلمة (العشاوة)[3]،ومن هؤلاء علي بن العباس المجوسي[4] في كتابه: (كامل الصناعة الطبيّة).

---

(1) فردوس الحكمة: (ص 162).

(2) الذخيرة: (ص 38).

(3) كامل الصناعة: (1/ 344).

(4) يرجّح أنه توفي في الربع الأخير من القرن (4 هـ ـ 10م).

المصادر والمراجع:

- ابن الأكفاني، محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري، أبو عبد الله، **كشف الرّين في أحوال العين**. تحقيق: محمد ظافر الوفائي. محمد رواس قلعجي. الطبعة الأولى. الرياض. 1414 هـ- 1993م.
- ابن البيطار، عبد الله بن أحمد بن محمد، أبي محمد، **تفسير كتاب دياسقوريدوس**. تحقيق: إبراهيم بن مراد. دار الغرب الإسلامي. الطبعة الأولى، 1989م، بيروت.
- ابن الخشاء، أحمد بن محمد الخشاء، أبو جعفر، **مفيد العلوم و مبيد الهموم**، نشر الكتاب: G. Colin، P. J Renaud. الرباط، 1941م.
- ابن زهر، عبد الملك، أبو مروان، **التيسير في المداواة و التدبير**، تحقيق: د. ميشيل الخوري. المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم. الطبعة الأولى - 1403 هـ - 1983م.
- ابن سينا، الحسين بن علي، أبو علي، **القانون في الطب**، تحقيق سعيد اللحام.
- ابن مراد، إبراهيم، المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة. دار الغرب الإسلامي. الطبعة الأولى، 1985م. بيروت.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، **لسان العرب**، دار صادر.
- ابن النفيس، علي بن أبي الحزم، **المهذب في الكحل المجرب**. تحقيق: محمد ظافر الوفائي. محمد رواس قلعجي. سلسلة التراث الطبي الإسلامي، علم الكحالة 2. الطبعة الثانية، 1414 هـ- 1994م.
- ابن هندو علي بن الحسين، أبو الفرج، **مفتاح الطب**، تحقيق: سحبان خليفات. سيرته، آراؤه الفلسفية، مؤلفاته. منشورات الجامعة الأردنية. عمان 1995م.

- أبو الحسن الطبري، أحمد بن محمد، **المعالجات البقراطية**، مخطوط. منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية. يصدره فؤاد سزكين. سلسلة عيون التراث: المجلد47/ 1. طبع بالتصوير عن مخطوطة 4474 مكتبة ملك مليّ. طهران.
- أبو سهل المسيحي، عيسى بن يحيى، **كتاب المئة في الطب**. تحقيق: فلوريال سناغوستان. المعهد الفرنسي للدراسات العربية. دمشق. 2000م.
- التونجي، محمد، **معجم المعربات الفارسية في اللغة العربية**. دار الأدهم. دمشق. ص. ب: 6032.
- بيرغشترسر، **رسالة حنين بن إسحاق إلى علي بن يحيى المنجم**، «في ذكر ما تُرجِم من كتب جالينوس بعلمه، وبعض ما لم يُتَرجَم» ترجمة عبد الرحمن بدوي. اسم الكتاب: دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت. 1981 م.
- الحمارنة، نشأت، **آراء ودراسات قي تاريخ الطّبّ العربي**، الجمهورية العربية السورية، وزارة الصحة. جزآن ـ 2004م.
- حنين بن إسحاق، **العشر مقالات في العين**. التحقيق والترجمة الإنجليزية: ماكس مايرهوف. المطبعة الأميرية بالقاهرة. 1928م.
- حنين بن إسحاق، **المسائل في العين**. التحقيق والترجمة الفرنسية: بولص سباط، ماكس مايرهوف. القاهرة. 1938م.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، **كتاب العين**. تحقيق: مهدي المخزومي. إبراهيم السامرائي. دار الرشيد للنشر،1980م.
- منحول لثابت بن قرة، **الذخيرة في الطب**، دار المدينة للطباعة والنشر، بيروت، 1928م.
- الرازي، زكريا بن محمد، **المُشَجرة في معرفة أمراض العين**. مخطوط طهران. سنا 3190/ 30.

- الرازي، زكريا بن محمد، **التقسيم والتشجير تقاسيم العلل**. تحقيق: صبحي محمود حمامي. معهد التراث العلمي العربي، منشورات جامعة حلب. 1412 هـ ـ 1992م.
- الرازي، زكريا بن محمد، **المنصوري في الطب**، تحقيق: حازم البكري الصِدِّيقي، منشورات معهد المخطوطات العربية. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. الطبعة الأولى. الكويت. 1408 هـ ـ 1987م.
- الرازي، زكريا بن محمد، **الحاوي في الطب** الجزء الثاني. صحح وطبع تحت مراقبة: شرف الدين أحمد. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن. الهند. 1396 هـ ـ 1976 م. الطبعة الثانية.
- علي بن سهل ربن الطبري، أبو الحسن، **فردوس الحكمة في الطبّ**، تحقيق: د. محمد زبير الصِدِّيقي. مطبعة آفتاب الكائن ببرلين سنة 1928م.
- علي بن العباس المجوسي، كامل الصناعة الطبية، المعروف بالملكي. المخطوط.
- عيسى بن حكم، مسيح الدمشقي، **الرسالة الهارونية**. تحقيق: Suzanne GIGANDET المعهد الفرنسي للدراسات العربية. دمشق. 2002 م.
- القوصوني، مدين بن عبد الرحمن، **قاموس الأطباء وناموس الألباء**. مصورات مجمع اللغة العربية بدمشق. جزآن. أوفست دار الفكر. دمشق. 1399 هـ ـ 1979 م.
- القيسي، أحمد بن عثمان بن هبة الله، أبو العباس، **نتيجة الفِكر في علاج أمراض البصر** تحقيق: محمد ظافر الوفائي. محمد رواس قلعجي، سلسلة التراث الطبي الإسلامي، علم الكِحالة، 13. مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن. 1419 هـ ـ 1998م.
- الكشكري، يعقوب، **كناش في الطب**. تحقيق: علي شيري. مؤسسة عز الدين، بيروت. الطبعة الأولى، 1414 هـ ـ 1994م.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف، **تاريخ اليعقوبي**. المجلد الأول. دار صادر بيروت.

- يوحنا بن ماسويه، أبو زكريا، **معرفة محنة الكحالين**، المخطوط، اسطنبول، نور عثمانية، رقم (3576).
- يوحنا بن ماسويه، أبو زكريا، **دغل العين**. مخطوط القاهرة / دار الكتب. تيمور طب (100).